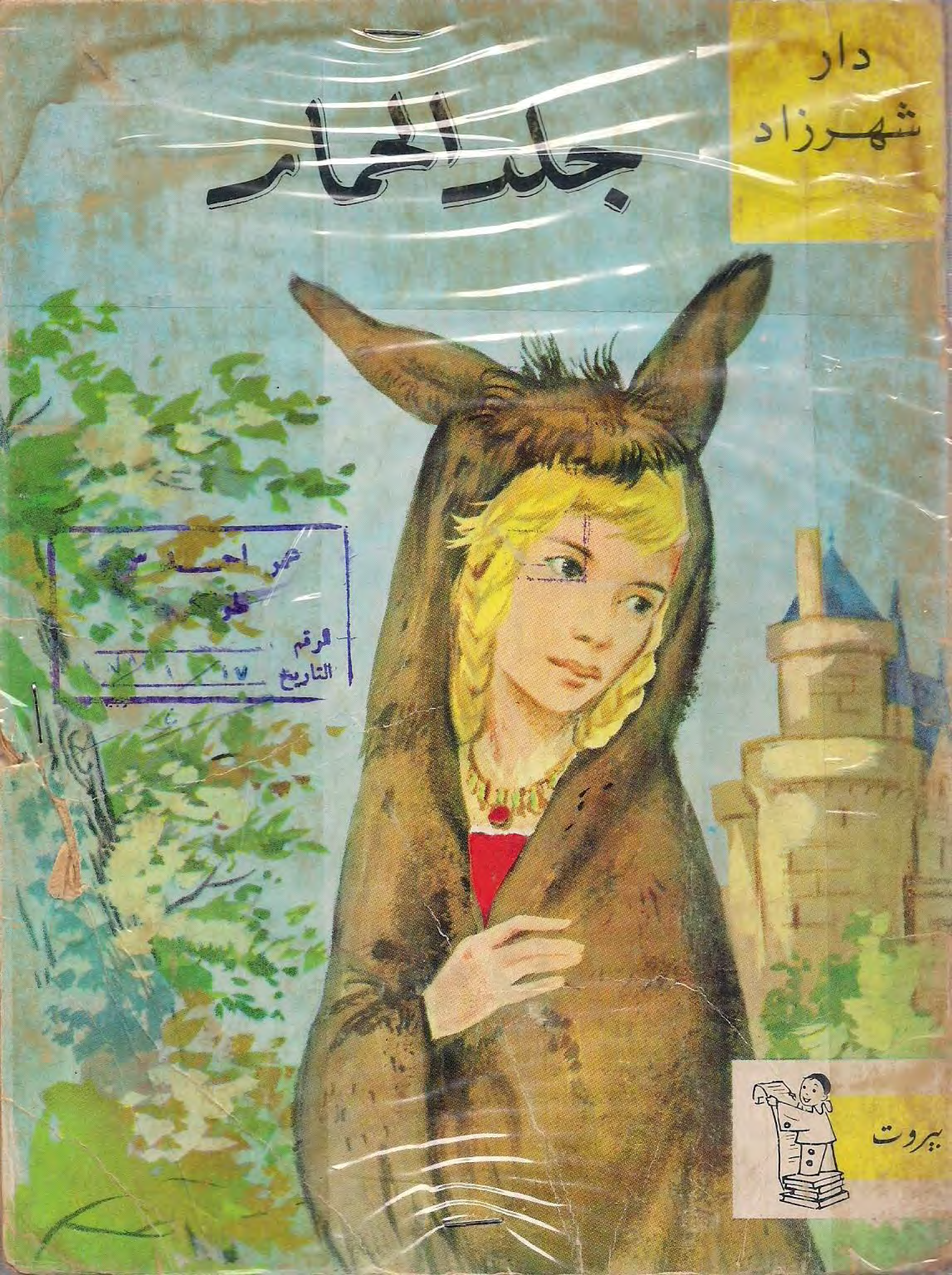

دار
شهرزاد
جلد الحمار
الرقم
التاريخ
بيروت

حكايات جدتي

جلد الحمار

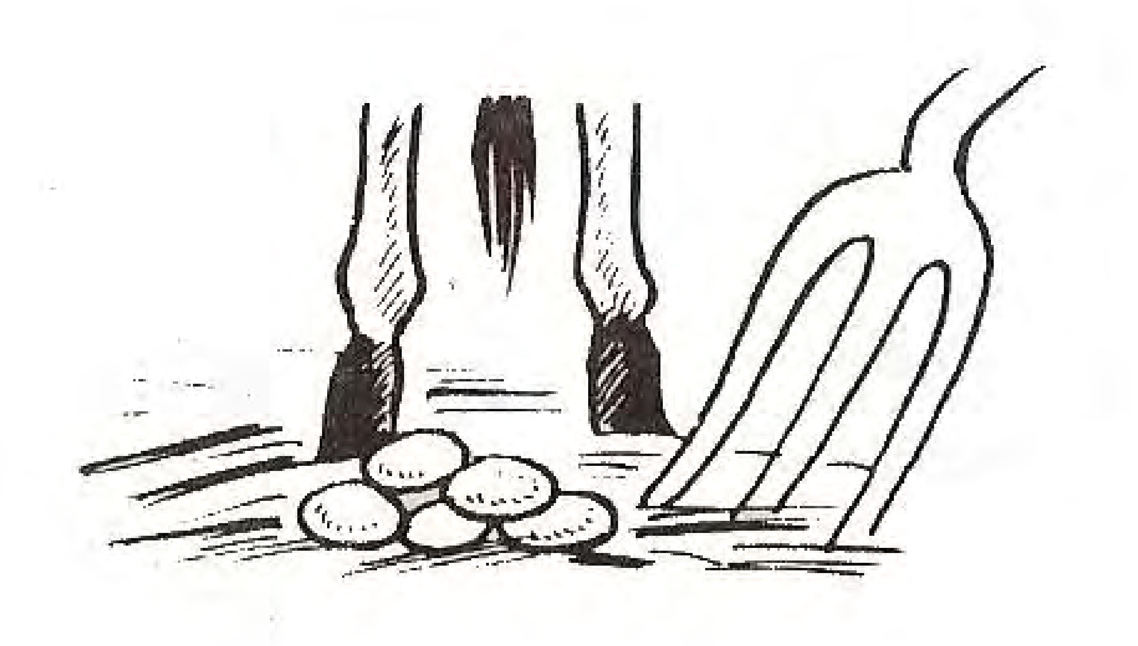


دار شهرزاد

كانَ في قَديمِ الزَّمانِ مَلِكٌ يَعيشُ مَعَ زَوْجَتِهِ الحَسْناءِ ، وَابْنَتِهِ الطَّيِّبَةِ القَلْبِ ، عِيشَةً راضِيَةً تَسودُها المَحَبَّةُ وَالوِئام .

وَكانَ المَلِكُ يَمْلِكُ حِماراً عَجيبَ الخِلْقَةِ ، يَبيضُ كُلَّ صَباحٍ عَدَداً مِنَ الدَّنانيرِ الذَّهَبِيَّةِ .

وَفي ذاتِ يَوْمٍ ماتَتِ المَلِكَةُ بَعْدَ أَنْ أُصيبَتْ بِمَرَضٍ خَطيرٍ أَلْزَمَها الفِراشَ مُدَّةً طَويلَة .



وَكانَتِ المَلِكَةُ قَدْ أَوْصَتْ زَوْجَها وَهِيَ عَلى فِراشِ المَوْتِ أَنْ لا يَتَزَوَّجَ إِلاّ مِنْ فَتاةٍ تَفوقُها في الحُسْنِ والجَمالِ .

إِنْتَظَرَ المَلِكُ عِدَّةَ سَنَواتٍ ثُمَّ أَعْلَنَ أَنَّهُ يَرْغَبُ في الحُصولِ عَلى زَوْجَةٍ جَديدَةٍ .

لَمْ يَكُنْ هَذا أَمْراً هَيِّناً ، لِأَنَّ العُثورَ عَلى فَتاةٍ أَجْمَلَ مِنْ زَوْجَتِهِ الأُولى كانَ أَمْراً بالِغَ الصُّعوبَةِ ، وَلا يَتِمُّ تَحْقيقُهُ بِسُهولَة .

فَرِحَ النّاسُ كَثيراً ، عِنْدَما عَلِموا بِرَغْبَةِ المَلِكِ ، إِلاّ ابْنَتَهُ فَإِنَّها جَلَسَتْ حَزينَةً وَلَمْ تُصَدِّقْ أَنَّ أَباها يُقْدِمُ عَلى الزَّواجِ ثانِيَةً . إِحْتارَتْ في ما تَفْعَلُ ، وَأَخيراً هَداها تَفْكيرُها إِلى الاتِّصالِ بِصَديقَتِها الجِنِّيَّةِ الَّتي كانَتْ تَسْكُنُ أَحَدَ كُهوفِ الجَبَلِ .




قالَتِ الجِنِّيَّةُ لِصَديقَتِها الأَميرَة :

ـ أَنا أَعْلَمُ لِماذا تَجيئينَ إِلَيَّ يا صَديقَتي الحَبيبَة . . . تَظاهَري أَمامَ والِدِكِ بِأَنَّكِ تَنْظُرينَ إِلى زَواجِهِ بِعَيْنِ الرِّضا ثُمَّ اطْلُبي مِنْهُ ثَوْباً جَميلاً نَسيجُهُ مِنْ أَلْوانِ الطَّبيعَةِ ، إِنّي مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّ أَحَداً في المَمْلَكَةِ لا يَسْتَطيعُ نَسْجَ مِثْلِ هَذا الثَّوْب .

عادَتِ الأَميرَةُ إِلى القَصْرِ وَهِيَ تَتَظاهَرُ بِالرِّضا ، ثُمَّ أَخْبَرَتْ أَباها بِرَغْبَتِها . سُرَّ والِدُها سُروراً عَظيماً ، ثُمَّ دَعا أَمْهَرَ خَيّاطي مَمْلَكَتِهِ وَأَمَرَهُ بِتَنْفيذِ رَغْبَةِ الأَميرَة .

بَعْدَ أَيّامٍ ، أَقْبَلَ الخَيّاطُ إِلى القَصْرِ وَهُوَ يَحْمِلُ الثَّوْبَ المَطْلوبَ . لَقَدْ كانَ ثَوْباً غايَةً في الرَّوْعَةِ نُسِجَتْ خُيوطُهُ مِنْ





زُرْقَةِ السَّماءِ وَأَحْزِمَتُهُ مِنْ أَلْوانِ السَّحابِ .

عَلِمَتِ ٱلْجِنِّيَّةُ أَنَّ ٱلْمَلِكَ ٱسْتَطاعَ أَنْ يَخيطَ الثَّوْبَ لِٱبْنَتِهِ ، فَساءَها ذَلِكَ كَثيراً ، ثُمَّ أَشارَتْ عَلى ٱلأَميرَةِ أَنْ تَطْلُبَ مِنْ أَبيها ثَوْباً آخَرَ مِنْ أَلْوانِ الْقَمَرِ .

دَعا المَلِكُ أَشْهَرَ الْخَيّاطِينَ وَطَلَبَ مِنْهُ خِياطَةَ هذا الثَّوْبِ لِلأَميرَةِ . وما هِيَ إِلاَّ أَيّامٌ حَتّى عادَ وَمَعَهُ الثَّوْبُ الْمَطْلوبُ ، فَأُعْجِبَتْ بِهِ الأَميرَةُ إِعْجاباً شَديداً .

زادَ ٱسْتِياءُ الْجِنِّيَّةِ عِنْدَما عَلِمَتْ أَنَّ الثَّوْبَ الْمَطْلوبَ قَدْ تَمَّ إِعْدادُهُ بِإِتْقانٍ لا مَثيلَ لَهُ ، فَأَشارَتْ عَلى الأَميرَةِ أَنْ تَطْلُبَ مِنْ والِدِها ثَوْباً مِنْ أَنْوارِ الشَّمْسِ .



ذَهبتِ الأَميرةُ إلى والِدِها فعانَقَتْهُ وَقبَّلَتْهُ وَطلَبتْ مِنْهُ ثوْباً مُرَصَّعاً بِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ .

أَمرَ المَلِكُ فوْراً أَمْهرَ صائِغٍ في مَمْلَكَتِهِ أَنْ يُرَصِّعَ لِابْنَتِهِ ثَوْباً مِنْ خُيوطِ الذَّهبِ وَالأَلْماس .

وَما هِيَ إلاَّ أَيّامٌ حَتّى عادَ الصّائِغُ وَبِيَدِهِ ثَوْبٌ يَكادُ بَريقُهُ يَخْطَفُ الأَبْصارَ ، وَقدَّمَهُ لِلأَمــيرَةِ فَفَرِحتْ بِهِ فَرَحاً عَظيماً .

إِحتارَتِ الجِنِّيَّةُ في أَمرِها بَعْدَما تأَكَّدتْ أَنَّ المَلِكَ لا يَعْجزُ عَنْ تَحْقيقِ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ رَغباتِ ابْنَتِهِ .

وَفي ذاتِ يَوْمٍ دَعتِ الجِنِّيَّةُ الأَميرةَ وَقالَتْ لَها :

— أُطْلُبي مِنْ والِدِكِ المَلِكِ أَنْ يَذْبحَ لكِ حِمارَهُ الغالي



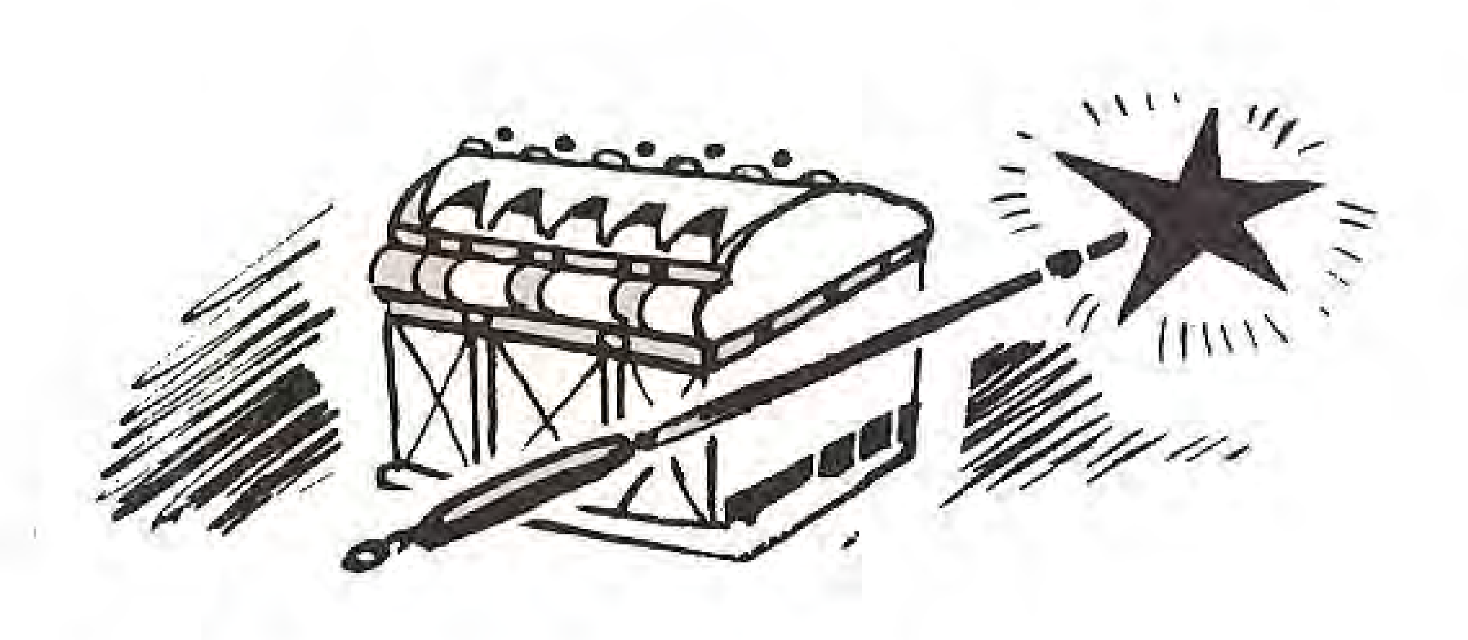
الَّذي يَبيضُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ ما يَشاءُ مِنَ الدَّنانيرِ الذَّهبِيَّة .

لَمْ يَترَدَّدِ المَلِكُ في تَنْفيذِ رَغْبةِ ابْنَتِهِ ، فَذَبحَ لَها الحِمارَ وَأَعْطاها جِلْدَه .

عِنْدَئِذٍ تأَكَّدتِ الجِنِّيَّةُ أَنَّها لَنْ تَنْجحَ في إِنْقاذِ الفَتاة فَطَلَبتْ إِلَيْها أَنْ تَفِرَّ مِنْ قَصْرِ أَبيها وَأَعْطَتْها عَصاها السِّحْرِيَّةَ وَصُنْدوقاً صَغيراً ثُمَّ قالَتْ لَها :

— ضَعي في هَــذا الصُّنْدوقِ الصَّغيرِ الأَثوابَ الثَّمينَةَ الثَّلاثَةَ ، وَالْبَسي جِلْدَ الحِمارِ ثُمَّ غادِري القَصْرَ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِكِ أَحد .

فَعلَتِ الأَميرةُ ما قالَتْهُ لَها الجِنِّيَّةُ ، وَغادَرتْ قَصْرَ أَبيها مُتَنَكِّرَةً في جِلْدِ الحِمارِ ، وَسارَتْ في طَريقِها ثَلاثَةَ أَيّامٍ بِلَياليها





حَتّى وَصَلَتْ إلى مَزْرَعَـةٍ صَغيرَةٍ وَهِيَ بِحالَةٍ يُرْثى لَها مِنَ التَّعَبِ وَالإِعْياءِ .

أَشْفَقَتْ عَلَيْها صاحِبَةُ الْمَزْرَعَةِ فَدَعَتْها لِلْعَمَلِ كَخادِمَةٍ في الْمَزْرَعَةِ وَأَطْلَقَتْ عَلَيْها اسْمَ « جِلْدِ الْحِمارِ » .

راحَتْ « جِلْدُ الْحِمارِ » تَعْمَلُ طيلَةَ أَيّامِ الأُسْبوعِ مِنَ الصَّباحِ حَتّى الْمَساءِ ، وَلَمْ تَكُنْ تَجِدُ راحَتَها إِلّا يَوْمَ الأَحَدِ ، حَيْثُ كانَتْ تُقْفِلُ عَلى نَفْسِها بابَ غُرْفَتِها ، ثُمَّ تُخْرِجُ الْعَصا السِّحْرِيَّةَ وَتَضْرِبُ بِها الأَرْضَ فَتَنْشَقُّ عَنْ صُندوقِها الصَّغيرِ الَّذي يَضُمُّ أَثْوابَها الْجَميلَةَ .

كانَتْ تَرْتَدي تارَةً الثَّوْبَ الْمَنْسوجَ مِنْ أَلْوانِ الْقَمَرِ ، وَتارَةً تَرْتَدي الثَّوْبَ الْمَنسوجَ مِنْ أَلْوانِ الشَّمْسِ ، وَتارَةً أُخْرى تَرْتَدي الثَّوْبَ الْمَنْسوجَ مِنْ زُرْقَةِ السَّماءِ ، ثُمَّ تَأْخُذُ بِالنَّظَرِ إِلى نَفْسِها في الْمِرْآةِ وَتَقولُ :

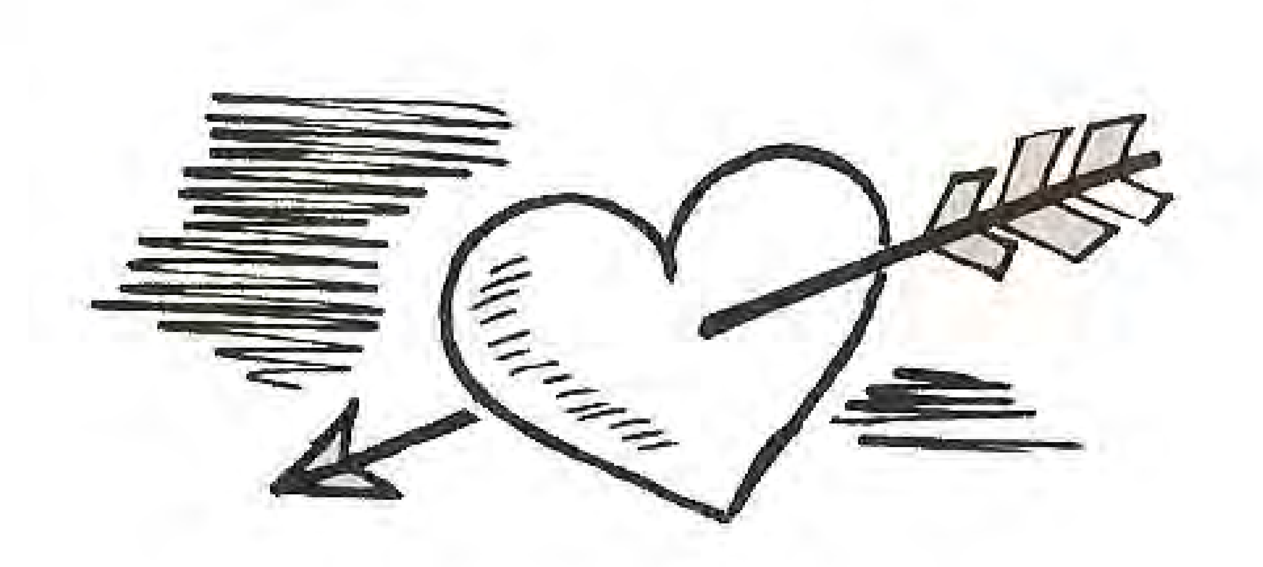


ـ لا بُدَّ أَنْ يَراني ذاتَ يَوْمٍ أَميرٌ جَميلٌ فَيُعْجَبَ بي وَيَتَزَوَّجَني ، وَبِذَلِكَ تَنْتَهي مَتاعِبي في هَذِهِ الْحَيـاةِ وَأُصْبِحُ أَسْعَدَ مَخْلوقَةٍ عَلى وَجْهِ الدُّنْيا .

كانَتِ الْمَزْرَعَـةُ الَّتي تَشْتَغِلُ بِها « جِلْدُ الْحِمارِ » مِلْكاً لِمَلِكِ تِلْكَ الْبِلادِ . وَكانَ ابْنُهُ الأَميرُ يَتَّخِذُها مُسْتَقَرّاً لِراحَتِهِ عِنْدَما يَعودُ مِنَ الصَّيْدِ .

وَفي ذاتِ يَوْمٍ ـ وَكانَ يَوْمَ الأَحَدِ ـ وَقَعَتْ عَيْناهُ عَلى « جِلْدِ الْحِمارِ » فَوَجَدَها فَتاةً رَقيقَةَ الْقَوامِ رائِعَةَ الْجَمالِ فَأَحَبَّها وَأَرادَ أَنْ يَعْرِفَ مَنْ هِيَ !

اِنْتَظَرَ الأَميرُ حَتّى شاهَدَها تَدْخُلُ غُرْفَتَها فَتَبِعَها وَاسْتَرَقَ النَّظَرَ مِنْ ثُقْبِ الْبابِ فَوَجَدَها مُرْتَدِيَةً أَجْمَلَ الثِّيابِ وَأَغْلاها ، وَهِيَ تَغْدو وَتَروحُ في الْغُرْفَةِ كَأَنَّها أَميرَةٌ مِنَ الأَميراتِ .



لَمْ يَسْتَطِعِ الأَميرُ أَنْ يَنْزِعَ حُبَّها مِنْ قَلْبِهِ ، فَكَتَمَ ذَلِكَ وَتابَعَ سَيْرَهُ إلى الْغَابَـةِ . وَفي الْمسَـاءِ عادَ إلى قَصْرِهِ مَغْموماً حَزيناً . واسْتَقَرَّ في غُرْفَتِهِ وَحيداً لا يَخْرُجُ مِنْها إلاَّ نادِراً حَتّى قَلَّ طَعامُهُ وَساءَتْ حالُهُ . فَقَلِقَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ . وَفي ذاتِ يَوْمٍ صَنَعَتْ لَهُ قُرْصاً مِنَ الْحَلْوى وَطَلَبَتْ مِنْهُ تَذَوُّقَهُ فَأَبى وَقالَ لَها :

— لَنْ أَذوقَ إلاَّ الْحَلْوى الَّتي تَصْنَعُها « جِلْدُ الحِمار » .

لَمْ تَفْهَمْ والِدَتُهُ ماذا يَعْني بِكَلامِهِ هٰذا ، فَغَضِبَتْ وَقالَتْ لَهُ :

— دَعْ « جِلْدَ الحِمارِ » تَصْنَعُ لَكَ الْحَلْوى الّتي تُريدُها .

قامَ الأَميرُ لِتَوِّهِ وَأَخَذَ قَليلاً مِنَ الطَّحينِ وَالسُّكَّرِ وَالزُّبْدَةِ وَذَهَبَ إلى الْمَزْرَعَةِ حَيْثُ طَلَبَ مِنْ « جِلْدِ الحِمارِ » أَنْ تَصْنَعَ لَهُ قُرْصاً مِنَ الْحَلْوى .





دَخلَتْ «جِلْدُ الحِمارِ» غرفَتَها وَارْتَدتِ الثَّوبَ المُرصَّعَ بِأَنوارِ الشَّمْسِ ثُمَّ أَخذَتْ في صُنْعِ الْحَلْوى لِتُقدِّمَها إلى سَيِّدِها الأَمــيرِ ، وَلَمْ تَنسَ أَنْ تَدُسَّ في القُرْصِ خاتَمَها الزُّمُرُّدِيَّ الرّائِعَ الّذي كان يُزَيِّنُ إِصْبعَها .

ذاقَ الأَميرُ الْحَلْوى فَوَجدَها لَذيذَةَ الطَّعْمِ جِدّاً . وَلكنَّهُ كادَ يَبْتَلِعُ خاتَمَ الزُّمُــرُّدِ لَوْ لَمْ يَعْتَرِضْ أَسْنانَهُ بِقَساوَتِهِ ، فَأَخرَجَهُ مِنْ فَمِهِ وَخَبَّأَهُ في مَكانٍ أَمينٍ .

بَعْدَ أَيّامٍ أَعْلَنَتِ الْملِكَةُ أَنّها تُريدُ عروساً لِابْنِها الأَميرِ . فَلَمْ يَجِدِ الأَميرُ في ذَلِكَ ما يَسُرُّهُ ، بَلْ ذَهَبَ إلى وَالِدَتِهِ وَقالَ لَها :

— إِنّني لَنْ أَتزَوَّجَ إِلاّ صاحِبَةَ هَذا الْخاتَمِ .

وَقدَّمَ لَها خاتَمَ «جِلْدِ الْحِمارِ» الزُّمُرُّدِي . فَقالَتْ لَهُ :

— كَما تُريدُ يا عزيزي !



ثُمَّ دَعَتْ فَتَياتِ النُّبَــلاءِ وَالأَشْرافِ لِتَخْتارَ عروساً مِنْهُنَّ لِوَلَدِها الأَمــيرِ ، وَلَكِنَّ جُهودَها ذَهَبَتْ عَبَثاً لِأَنَّ الْخاتَمَ لَمْ يَسْتَقِمْ في إِصْبَعِ إِحْداهُنَّ .

دَعَتِ الْمَلِكَةُ فَتَياتِ الْعائِلاتِ الأَقَلِّ مَنْزِلَةً وَلكِنَّ حَظَّهُنَّ لَمْ يَكُنْ بِأَحْسَنَ مِنْ حَظِّ سابِقاتِهِنَّ . عِنْدَئِذٍ طَلَبَ الأَميرُ مِنْ وَالِدَتِهِ أَنْ تُجَرِّبَ الْخاتَمَ في إِصْبَعِ خادِمَةِ الْمَزْرَعَةِ .

إِسْتَهْزَأَ الْجَميعُ بِالأَميرِ وَلَكِنَّهُمْ نَزَلوا عِنْدَ رَغْبَتِهِ بَعْدَ ما رَأَوْا مِنْ إِصْرارِهِ . .

جاءَتْ «جِلْدُ الحِمارِ» إلى الْقَصْرِ ، وَكَمْ كانَتْ دَهْشَةُ الْجَميعِ عَظيمَةً عِنْدَما رَأَوْا أَنَّ الْخَــاتَمَ يَنْطَبِقُ عَلى إِصْبَعِها الأَبْيَضِ الْجَميلِ تَمامَ الأَنْطباقِ .

نَظَرَتْ «جِلْدُ الحِمارِ» في وُجوهِ الْحاضِرينَ ، ثُمَّ نَضَّتْ عَنْها



جِلْدَ الْحِمارِ فَبَدَتْ لِلْحالِ فَتاةً رائِعَةَ الْجَمالِ تَكادُ تُضيءُ بِثَوْبِها الْمَنْسوجِ بِأَنْوارِ الشَّمْسِ الذَّهَبِيَّةِ فَبَهَرَتِ الْجَميعَ ، حَتّى إِنَّ الأَميرَ رَكَعَ عَلى رُكْبَتَيْهِ أَمامَها طالِباً يَدَها .

قَبِلَتِ الأَميرَةُ عَلى الْفَوْرِ . وَتَمَّ الزَّواجُ في أَقْصَرِ مُدَّةٍ . وَأَقامَ الْمَلِكُ ، والِدُ الأَميرِ ، اْحتِفالاتٍ رائِعَةً بِهٰذِهِ الْمُناسَبَةِ السَّعيدَةِ ، دَعا إِلَيْها جَميعَ مُلوكِ الْبُلْدانِ الْمُجاوِرَةِ ، فَلَبَّوا الدَّعْوَةَ شاكِرين .

وَهٰكَذا حَضَرَ الْمَلِكُ والِدُ «جِلْدِ الحِمارِ» وَكَمْ كانَ سُرورُهُ عَظيماً عِنْدَما عَلِمَ أَنَّ الأَميرَةَ الَّتي زُفَّتْ إِلى الأَميرِ لَمْ تَكُنْ إِلاّ بِنْتَهُ الأَميرَةَ الجَميلَةَ .

وَكانَتِ الْجِنِّيَّةُ ، صَديقَةُ الأَميرَةِ ، تَقِفُ بَعيداً عَنِ الْقَصْرِ تَرْقُبُ بِسُرورٍ بالِغٍ مُسْتَقْبَلَ الأَميرَةِ السَّعيدَ .

اْنْتَهَتْ






تطلب من :
دار العلم للملايين
مكتبة أنطوان
حكايات جدتي